والماجنة أنظار الشباب عن القراءة الرزينة المفيدة ؛ وأفسد الأدب المبتذل ، ولا سيما الأدب الجنسى ذوق الشباب وعقليته ، فانحط مستوى تفكيره وتقديره ؛ وأضحى الكتاب القيم لايجد بكل أسف بين الشباب كثيراً من الأنصار . أضف إلى ذلك ظرف مصر الخاص وهو انتشار الأمية فيها ، وضعف نسبة المتعلمين إلى حد لايزال يزرى بكرامتها ، ولولا ان الشعوب التى تتكلم العربية التى نكتب بها فى مصر تبلغ زهاء سبعين مليوناً ، لكان خطب الانتاج الأدبى العربى مضاعفاً ؛ ومع ذلك فالمعروف أن الكتب العربية القيمة تواجه أشد الأزمات ، وأن الكتاب الذى لايطبع منه سوى الفى أو ثلاثة آلاف نسخة يمكث أعواماً طويلة قبل أن تنفد نسخه بين السبعين مليوناً من الشعوب التى تتكلم العربية

والخلاصة أن الكتب تواجه أشد أزمة عرفتها فى العصر الحديث . وقد تتفاقم هذه الأزمة ، ويزداد مركز الكتاب حرجا ويزداد ذيوعه كساداً ، ولكن الكتاب لايمكن مع ذلك أن يختفى أو يموت . ذلك أن الكتاب قد ولد مع المدنية الانسانية ، ولبث مدى العصور أقدس متنفس للذهن البشرى ، وما دام الذهن البشرى ينتج ويعبر عما يجول فيه ، فلا بد من التجائه إلى الكتاب ، وقد مر الانتاج الفكرى ومرت الكتب خلال العصور المظلمة بمحن شديدة ، ولاذت بالاختفاء أيام الغزوات البربرية فى عهد الهون والوندال ، ولبثت فى الأمم الأوربية مدى قرون تقبع فى ظلمات الأديرة ، ولم تجد متنفساً وملاذاً إلا فى الدول الاسلامية ، فى ظل المدنية الاسلامية الزاهرة ؛ واستمرت محاكم التحقيق ( التفتيش ) عصوراً تجد فى مطاردة التفكير الانسانى وفى مصادرة الكتب وحرقها ؛ ولكن هذه الخطوب والمحن كلها لم تخمد جذوة التفكير الانسانى ، ولم تقض على حياة الكتاب ؛ وخرج الكتاب ظافراً من هذه المحن ، وجاءت المطبعة فى فجر العصر الحديث فاستطاع بعونها أن يغمر العالم ؛ ولم تقو عصور الطغيان ونظمه على مغالبة الذهن البشرى ؛ فاذا كان الكتاب يجوز اليوم أزمة فكرية اجتماعية ، نظراً لتطور الحياة والاختراعات العلمية ، فتلك أزمة مؤقتة ، سوف يتاح للكتاب أن يتغلب عليها متى استطاع أن يهيىء نفسه للسير مع الظروف الجديدة فى ألوان لاتنقص من قدره ورفيع مكانته ؟

محمد عبد الله عنانه
المحامى

# ابراهيم بك مرزوق

## ومحمد سعيد بك

بقلم الأستاذ محمود خيرت

نقلت الرسالة فى عددها الرابع والخمسين مادونه المغفور له تيمور باشا من حياة المرحوم ابراهيم بك مرزوق وأنه كان شاعراً مجيداً نظم كثيراً من المقطوعات والقصائد . ولكنه مع توسعه فى ذكر مولده ونشأته وأدوار تقلبه فى مناصب الحكومة أوجز كثيراً فى حياته الأدبية مقتصراً على أن المرحوم محمد بك سعيد هو الذى جمع ديوانه ونشره فى سنة ١٢٨٧ هـ ، فلم يتعرض الى شىء من شعره ليعطينا صورة ريّانة من تلك الحياة .

وقد كنت أود لو أن بين يدى ديوان هذا الشاعر الذى لم أهتد اليه فى المكاتب ، فأسد هذا الفراغ ، ومع ذلك فانه لايزال عالقاً فى ذهنى منه هذان البيتان :

لم يُرضِنى الهجرُ حتى عُمر الحبيب تقضى
والأرض ضمَّتهُ قبلى ياليتنى كنت أرضا (أرضى)

وقد لايكون هذا القدر القليل كافياً للحكم على هذا الشاعر من حيث ميوله المختلفة فى مجموعها وعلاقتها بالبيئة التى عاش فيها ، ولكنه على كل حال شاهد صدق على ما كانت عليه نفسه من الرقة وكان عليه أسلوبه من الفخامة والحلاوة والسهولة ، فهذان البيتان مع أنهما من المجزوء تضمنا قصة بحالها يجول فيها الحب وجنَّاته ، والهجر وأناته ، والموت وأظفاره ، والدمع وأنهاره ، وهو بين الحبيب الذاهب ، واليأس الغالب ، يعود باللائمة على نفسه التى لم تقنع بالهجر وتجد لذتها فيه ، حتى ضمته الأرض قبل أن تضمه حنايا قلبه الشجى المحترق ، وهو مع كل هذا لايفوته حكم الصناعة فيخرج لنا جناسا لانحس عنده جهدا ولا تكلفاً ولا مللاً ، يجمع بين الندم على عدم الرضى ، والحسرة على فوز الأرض بالحبيب من دونه

***

على أن الذى هدانى الى هذا الديوان وأنا فتى هو نفس

المرحوم محمد سعيد بك الذى عنى بجمعه ونشره ، فقد كان كثير التردد على المرحوم جدى ، ( وكان صديق أبيه ) ، وكان من تردده علينا أن حبب الى نفسى قرض الشعر فى ذلك العهد .

ولقد كان محمد سعيد بك واسع الاطلاع غزير المادة فياضاً مجيداً . أذكر أنه زارنا مرة فوجد معى قريباً جميل الطلعة ، فمال علىّ هامساً فى أذنى ما اسمه ؟ قلت مصطفى ، وعند ذلك انفرد بنفسه فى ركن من الغرفة ، حتى اذا مضت أربع دقائق أقبل علىّ يقول بصوت خافت : اسمع ، ثم أنشدنى هذا البيت :

وأعطشنى وجدى الى رشف ريقه
لفرط صباباتى فمذ قال مُصْ طَفىَ

ومن شعره رحمه الله فى سيدة رثاها :

أيها المغرور بالدنيا اعتبر فبوعظ كم ينادى الزمن
بينما الانسان فى الدنيا اذا قائلٌ هذا فلان يدفن
هاهنا درة خدر فارقت قصرها الزاهى وهذا المسكن
أنشد الرضوان فى تاريخها رحمة الله عليها جلشنُ

وجُمّل عجز البيت الأخير يعطيك تاريخ السنة التى توفيت فيها تلك السيدة ، واذا علمنا أن محاولة الحصول على التاريخ عند قرض الشعر من الأمور المعقدة التى لايمكن فيها الجمع بين التاريخ وحلاوة الشعر أدركنا من هذا الشعر مقدرة هذا الشاعر الكبرى فى تذليل هذه الصعوبة ، فان ارسال الرحمة فى هذه الصيغة التى ألفها الناس وذكر اسم المرثية والحصول مع ذلك على التاريخ المطلوب فى شعر من بحر الرمل حلو الألفاظ والمعنى كاف للتدليل على مكانته . ولقد بلغ من مقدرة محمد بك سعيد أنه نظم مرة قصيدة من عشرين بيتاً كان كل صدر وكل عجز منها تاريخاً ، وقد سمعت ذلك من جدى رحمه الله ، وكان وقتئذ وكيلا للمطبعة الأميرية ، ولعل هذه القصيدة منشورة بالوقائع الرسمية التى كانت تنشر وقتئذ له وللمرحوم الليثى وغيرهما من الشعراء

وقد روى لى محمد سعيد بك رحمه الله انه هو الذى وضع القطعة الغنائية المشهورة التى مطلعها :

بستان جمالك من حسنه أبهى وأجمل م البستان

على خلاف ما شاع بعد وفاته من انها للمرحوم اسماعيل باشا صبرى هؤلاء الناس الموفقون فى الأدب والشعر قد لا يعلم الناس عن كثير منهم شيئاً ، وهكذا يذهبون وتذهب معهم آثارهم . روى لى المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى أن كتبة محكمة الاسكندرية الشرعية كان رئيسهم ( الباشكاتب ) فى وقت ما رجلا نسيت اسمه خفيف الروح جيد الشعر ، ولكنه كان مولعاً بالشراب . وقد صادفه مرة أحد أصدقائه وهو يحتسى فى حانوت خمّار فطلب اليه أن يسايره حيث هو ذاهب ( وكان لا يزال فى القنينة نحو ثلثها ) فأبى قائلاً وبلسانه التواء من أثر السكر

مضى بها مامضى من عقل شاربها وفى الزجاجة باقٍ يطلب الباقى

ولا أدرى اذا كان هذا البيت من مقوله أو قديم ، ولكنه على كل حال دليل على سرعة ارتجاله أو سرعة خاطره

ومما يدل على ظرف هذا الرجل ان حضرة القاضى رئيس المحكمة كان معتاداً أن يقبل الموظفون ( وهو معهم ) يده عند كل صباح . ولكنه بلغه مرة انه مدمن على الخمر ، وانه يعترض فى الطرقات الفتيات المتبرجات بالهوى ، فغضب عليه وأسرف فى تعنيفه حتى اذا ضاقت نفسه خرج من صمته صائحاً ليكن مابلغ فضيلتك عنى صحيحاً فمالك وسلوكى فى غير أوقات عملى . وعند ذلك جُنّ جنون الشيخ وصرخ فيه أن اخرج من هنا . أنت طالق . أنت طالق . أنت طالق .. !

وفى صباح اليوم التالى لم يره الشيخ مع باقى الكتبة فتذكر ما كان من أمره معه بالأمس ، وأرسل فى طلبه ، ولكنه أبى أن يحضر فذهب اليه بنفسه ، وعند ذلك أسرع صاحبنا فغطى وجهه بطرف ثوبه ... وفى هذه الحركة من حسن الاشارة ما فيها بعد صدور ذلك اليمين ...

رحمهم الله جميعاً

محمود خيرت
بقلم قضايا وزارة المالية


## الرسالة فى شهور الصيف

تسهيلا لوصول الرسالة الى قرائها مدة العطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهرى بواقع أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً